﴿وَإِذۡ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبۡعَثَنَّ عَلَيۡهِمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَن يَسُومُهُمۡ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِۗ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلۡعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ١٦٧﴾

[الأعراف: 167]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

تتابعُ عقوباتِ الله على يهود

أجمل الإمام الرّازيّ المناسبة لهذه الآية مع ما تقدّمها فقال: "اعلَمْ أنّه تعالى لمّا شرح ها هنا بعضَ مصالح أعمال اليهود وقبائح أفعالهم، ذكر في هذه الآية أنّه تعالى حكم عليهم بالذلّ والصَّغار إلى يوم القيامة[1]".

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿تَأَذَّنَ﴾: يقول ابن فارس "الهمزة والذّال والنّون أصلان متقاربان في المعنى متباعدان في اللّفظ، أحدهما: أذُنُ كلّ ذي أُذُن، والآخر: العِلم، وعنهما يتفرّع الباب كلّه"[2]. ولا شكّ أنّ هنالك تقاربًا بين الأصلَيْن فبالأُذُنِ يقعُ العِلْمُ ولا سيّما علم المسموعات، لكن بين العلم والإذْن فرقٌ؛ فإنّ الإذْنَ أخصُّ ولا يكاد يُستعمل إلّا فيما فيه مشيئةٌ به، راضيًا منه الفعلَ أم لم يرضَ؛ فإنّ قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفۡسٍ أَن تُؤۡمِنَ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ﴾ [يونس: 100] فمعلومٌ أنّ فيه مشيئتَه وأمرَهُ[3]، والإذْنُ في كلام العرب يأتي إمّا على معنى الأمر على غير وجه الإلزام، ومنها التّخليةُ بين المأذونِ له والمُخلّى بينه وبينه، ومنها العلم بالشيء[4]، وهو المراد هنا، وجاء على صيغة (تفعَّل)؛ للدَّلالة على المطاوعة في معنى قوّة حصول العلم.

(1) الفخر الرّازيّ، مفاتيح الغيب: 34/8.
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (أذن).
(3) الرّاغب، المفردات: (أذن).
(4) ابن جرير، جامع البيان: 449/2.

2) ﴿يَسُومُهُمْ﴾: السِّين والواو والميم أصلٌ يدلُّ على طلب الشيء، يُقالُ: سامَ الشَّيءَ يَسومُهُ سَوْمًا، أَيْ: ذَهَبَ لِطَلَبِهِ، وَمِنْهُ سَوْمُ الماشيَةِ، أَي: رَعْيُها وَطَلَبُها الحَشيشَ. وَقيلَ أَصْلُ المُساوَمَةِ مِنَ التَّسْويمِ، وَهوَ تَمْييزُ الشَّيْءِ بِعَلاَمَةٍ، يُقالُ: سَوَّمَ الشَّيْءَ يُسَوِّمُهُ، أَيْ: مَيَّزَهُ بِعَلامَةٍ[1]. ومجرى الابتغاء في قوله ﴿يَسُومُهُمْ﴾ كذا، أي يطلب لهم سوء العذاب. وفي هذا الفعل معنى القَسَم: كعَلِمَ اللّه[2]، وشَهِدَ اللّه، لتأكُّدِ إذاقةِ اللّه بني إسرائيل الإهانةَ.

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

توعُّد الله اليهودَ بالعقوبات لكُفْرِهم وفُسوقِهم وإفسادِهم في الأرض

واذكُرْ يا رسولَ اللّه وقْتَ أن أَعلَم اللّه تعالى هؤلاء اليهودَ وأسلافَهم إعلامًا صريحًا بأنّهم إن غيَّروا وبدّلوا ولم يؤمنوا بأنبيائهم، لَيُسلِّطنَّ عليهم إلى يوم القيامة من يُذيقُهم سوءَ العذاب، ويُذلهُّم ويُهينهم في حياتهم الدنيا إلى يوم القيامة - كضَرْبِ الجزيةِ عليهم، وغير ذلك من صنوف العذاب، إنَّ ربّك لسريعُ العقابِ لمن أقام على الكفر، وجانَبَ طريقَ الحقّ، وإنّه لغفورٌ رحيمٌ لمن تاب وآمن وعمل صالحًا[3].

وتُرشد الآيةُ الكريمةُ إلى تأكيد اللّهِ إذاقةَ بني إسرائيل الذِّلةَ والإهانة باطِّرادٍ، وإن بدا للنّاس أنَّهم يُسيِّرون دفَّةَ الأمور في أرض النَّاس، ويتحكَّمون في مال الدنيا وخيراتها، وهم قد اقتطَعوا من أرض المسلمين قطعةً طاهرة مقدسة، إلَّا أنها فترة قصيرة في حُكم الزَّمن وتعاقب الدُّول، وعَرَضٌ من أعراض الحياة الدُّنيا، وسيبقَوْن الأذلّاءَ دومًا وإن بدَوْا في غَطْرسةٍ واستكبارٍ.

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة، وابن منظور، لسان العرب: (سوم).
(2) الشّوكاني، فتح القدير: 296/2.
(3) طنطاويّ، التّفسير الوسيط: 414/4.

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغِيُّ:

بلاغة العطف للآية على ما تقدّمها:

عـطـفُ الـقِـصَّـةِ على القصَّةِ من شأنه أن يَجمع أطرافَ الخبر من كافّة نواحيه

قوله: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ﴾ عطفٌ على جملَة: ﴿وَسْـَٔلْهُمْ﴾ [الأعراف: 163] متعلِّقةٌ بمحذوفٍ تقديرُه: اذْكُر، أي: اذكر أيُّها النَّبي ذلك الوقتَ حين تَأَذَّنَ ربُّك لَيبعثنَّ عليهم[1]، وهي من عطف القِصّةِ على القصّةِ؛ لأنّها تتناول مشاهدَ متنوّعةً من هذه القصة، فالحديثُ فيها عن اليهود المقصودين بقوله تعالى: ﴿وَسْـَٔلْهُمْ﴾، وهم المعاصِرون للنبيِّ ﷺ، فهذه العقوبة المقرَّرةُ هنا ليست حِكْرًا على أصحاب القرية المذكورين، بل هي لأحفادِهم ممَّن اقتفَوْا آثارهم بنقض العهود والتّمرُّد على الشرائع.

نكتة تَكْرارِ مجيء (إذ) ودلالتها:

كـــثرةُ (إذ) في الـقِـصـص الـــقـــرآنيِّ؛ لأنَّ أغـلـبَ ما يـــأتي بـعـدها مـشـاهِـدُ حَـيَّـةٌ يُـــراد للسامع استحضارُها

إذ: اسمٌ أو ظرفٌ للزَّمان للماضي، وتعرب على أنّها مفعولٌ فيه مبني على السُّكون في محل نصبٍ، أو مفعولٌ به لفعلٍ محذوفٍ تقديرُه: اذكُرْ، ويشير ابنُ هشام إلى استعمالاتها بأنَّها قد تأتي ظرفًا وهو الغالب، نحو: ﴿فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [التوبة: 40]، قال: "والغالبُ على المذكور في أوائل القِصص في التَّنزيل أن تكون مفعولاً به بتقدير: اذكر"[2].

ويرى ابن قيِّم الجَوزيَّةِ أنَّ هذه طريقة بديعة عجيبة في القرآن هي من باب "الاكتفاء عن غير الأهمِّ بذكر الأهمِّ لدلالته عليه، فأحدهما مذكور صريحًا والآخر ضمنًا، ولذلك أمثلة في القرآن يُحْذف منها الشَّيءُ للعلم بموضعه، فمنها قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا﴾ [البقرة: 34] ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَـٰكُم﴾ [البقرة: 49] ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا﴾ [البقرة: 50] ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا﴾ [البقرة: 125]، وهو كثير جدًّا بواو العطف من غير ذكر

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 154/9.
(2) ابن هشام، مغني اللّبيب، ص: 94.

عامل يعمل في "إذ"؛ لأنَّ الكلام في سياق تَعْداد النِّعم وتَكرار الأقاصيص، فيشير بالواو العاطفة إليها، كأنَّها مذكورة في اللفظ لعِلْم المخاطَب بالمراد"[1].

ويَكْثُر ورودُها في القِصص القرآنيّ لأنّ أغلب ما يأتي بعدها هو مشاهدُ قصصيّةٌ يُراد للسَّامع أن يستحضرَها مشاهدَ حيَّةً تجري أمامه، لذلك توالت هنا عدّة مرّات في سياق تذكير بني إسرائيل بصنائعِ أجدادِهم السَّابقين، وتاريخِهم الطَّويل في التمرّد والعصيان. وفائدتُها ظاهرةٌ في تصوير المشاهد الفنّيَّةِ على أنّها مشاهدُ حيَّةٌ يراها القارئُ أمامه من خلال هذه الحروف والألفاظ الّتي أَخذتْ على عاتقها تصويرَ هذه المشاهد.

بلاغة التَّعبير بـ﴿تَأَذَّنَ﴾:

تدلّ مادّة (تَأَذَّنَ) وبِنيتُها على أنّ الله تعالى أعلَمَهُم بهذا الوعيد وحذَّرهم منه، وهو متضمّنٌ معنى القَسَمِ

يرى ابنُ عطية: بِنية ﴿تَأَذَّنَ﴾ هي التي تقتضي التكسّب، من (أَذِنَ) أي: عَلِمَ، وآذَنَ أي: أَعْلَمَ، إلّا أنّ (تَعلَّمَ) وما جرى مجرى هذا الفعل إذا كان مسنَدًا إلى اسم الله ﷻ لم يَلحقْه معنى التكسُّبِ الذي يلحق المُحدَثين، فإنّما يترتّب بمعنى (عَلِمَ) صفة لا بتكسّب، بل هي قائمة بالذّات، فمعنى هذه الآية: وإذ أعلَمَ اللّهُ ليبعثنَّ عليهم، وتقتضي قوّةُ الكلام أنّ ذلك العِلْمَ منه مقترِنٌ بإنفاذٍ وإمضاءٍ، كما تقولُ في أمرٍ قد عزمتَ عليه غايةَ العزم: عَلِمَ اللّهُ لأَفعلَنَّ كذا[2].

وفي هذا الفعل معنى القَسَمِ: كعَلِمَ اللّهُ، وشَهِدَ اللّهُ، ولذلك أُجيب بما يُجاب به القَسَمُ حيث قال: ﴿لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ﴾، أي: (ليُرسِلَنَّ عليهم ويُسَلِّطنَّ)، كقوله: ﴿بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُوْلِى بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ [الإسراء: 5][3].

(1) ابن القيم، بدائع الفوائد: 360/1.
(2) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز، ص: 756.
(3) الشّوكانيّ، فتح القدير: 296/2.

بلاغةُ الالتفات في قوله: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ﴾:

إخبارُ النّبيّ ﷺ عمّا جرى مع عصاة بني إسرائيل بضمائر الغَيْبة تهوينًا وتحقيرًا لهم

في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ﴾ التفاتٌ من ضمير التكلُّم في ﴿قُلْنَا لَهُمْ﴾ إلى الغَيْبة، وغرضُ الالتفات العامّ هو تلوينُ الخطاب وجذْبُ الاهتمام، ويختصّ بكلّ موضعٍ بنِكاتٍ بيانيّةٍ دقيقةٍ، ولعلّ النُّكتةَ فيه هنا النّعيُ عليهم بالإعراض عن مخاطبتِهم مباشرةً إلى الإخبار عنهم إخبارًا، على أنّ الأمر بدهيٌّ ومُسلَّمٌ وقد تقرّر وانقضى في علم الله ﷻ، وأنّه ممّا لاجِدالَ فيه.

نُكْتَة مجيء وصف الرُّبوبيّة وإضافته إلى ضميره ﷺ:

في ذكر الرّبوبيّة مضافة إلى ضميره ﷺ تسريةٌ وتلطيفٌ وتشريفٌ

في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ﴾ في ذِكْر وصف الرّبوبيّة تسريةٌ وتسليةٌ لقلب النّبيّ ﷺ؛ لأنّ المربّي هو الذي يعتني بمن يربّيه ولا يتركه لحظةً، وفي إضافة لفظ الربوبيّة إلى ضميره عليه الصّلاة والسّلام تكريمٌ وتشريف له.

بلاغةُ توالي المؤكِّداتِ في ﴿لَيَبْعَثَنَّ﴾:

تضمّن التّوكيد وعيدًا للمعتدين وطمأنةً للمؤمنين

اللّام هنا هي الواقعة في جواب القَسَم، والنّون هي نون التّوكيد الثّقيلة؛ وذلك لأنَّ التَّأذُّنَ في قوله: ﴿تَأَذَّنَ رَبُّكَ﴾ تضمّن معنى القَسَم[1]؛ لأنّه من شأن هذه المؤكِّداتِ أن تَفُتَّ من عَضُدِ اليهود وأن تزيدَ من ترهيبهم وزَجْرِهم عن معاصيهم الكبيرة من ناحية. ومن شأنها كذلك أن تَرفعَ من يقين المؤمنين وتزيدَ من استبشارهم بنصر الله.

معنى البعث وغرض تعديته بـ(على):

معنى البعث أقوى في الدّلالةِ، وتضمّن معانيَ التّقييض والإلهام والتّسليط

البعث هو إثارةُ الشيء وتوجيهُه[2]، وهو هنا مجازٌ في التَّقييض والإلهام، وهو يُؤذِنُ بأنَّ ذلك في أوقات مختلفة، وليس ذلك يومًا فيومًا؛ ولذلك اختِير فعلُ ﴿لَيَبْعَثَنَّ﴾ دون نحو: لَيُلزِمنَّهم، وضُمِّن

(1) الفخر الرّازيّ، مفاتيح الغيب: 34/8.
(2) الرّاغب، المفردات: (بعث).

معنى التَّسليط فَعُدِّيَ بـ (على) كقوله: ﴿بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ﴾ [الإسراء: 5]، وقوله: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ﴾ [الأعراف: 133][1]، وفي التّضمين بلاغةٌ لا تجدُها في غيرها، حيث يقتضي التّضمينُ قوّةَ الفعلَيْن معًا، فكأنّه يقول: أَرسَلْنا مُسلِّطينَ عليهم مَن يَسومُهُم سوءَ العذاب.

ودلالةُ الفعل ﴿لَيَبْعَثَنَّ﴾ على معنى الإثارة والتوجيه أقوى من مجرَّدِ الإرسال، فلذلك عَدَلَ عن التَّعبير بـ (ليُرسِلَنَّ)؛ لما تضمَّنَه البعثُ من معانٍ ليست في الثَّاني، فاللّه تعالى يُخبِر بأنَّه سَيَبعثُ على بني إسرائيل مَن يعذِّبُهم ويُؤذِيهم مدَّةَ بقائهم في هذه الحياة الدنيا. وأنَّ هؤلاء الذين سيقومون بإهانتِهم وإذلالهم ليسوا موجودين في الأصل، بل سيَخلُقُهم اللّه ويحييهم لهذا الغرض في كلِّ موقف وحادثة تَستَدعي تعذيبَهم. وهذا يزيد في رُعْبِ اليهود وإغاظتِهم، ويُظهِر قدرةَ اللّه وحكمتَه في تدبير أمور خلْقِه.

فائدة مجيء القيد ﴿إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾:

فائدة مجيء القيد بقوله: ﴿إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾؛ غايةٌ لما في القَسَم من معنى الاستقبال، وهي غاية مقصود منها جعلُ أزمنة المستقبل كلّه ظرفًا للبعث؛ لإخراج ما بعد الغاية. وهذا الاستغراق لأزمنة البعث، أي: أنَّ اللّه يُسلِّط عليهم مَن يعذِّبُهم ويؤذيهم مدَّةَ بقائهم في خلال المستقبل كلِّه، والبعث مُطلَق لا عامٌّ[2].

تسليط من يعذبهم ويؤذيهم مدةَ بقائهم في الدنيا غير مغيّا بوقتٍ محدّدٍ

وجهُ تقديم ﴿إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ على فعل السَّوم:

وتقديمُ شبهِ الجملةِ على فعل إذاقتِهمُ العذابَ يدلُّ على تمكُّن ظرفيَّةِ وقوعِ الخسفِ بهم على مدى الأوقات، "إلا أنهم يَرُدُّ اللّه لهم الكَرَّةَ حتى يجتمعوا ويكونوا أمةً؛ لأنهم لو بَقوا مُقَطَّعين في الأرض لن تقوم لهم قائمة – كما قال: ﴿وَقَطَّعْنَـٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أُمَمًا﴾

من عَادَةِ اللَّهِ أن يَـرُدَّ لـهـمُ الـكَـرَّةَ ويجعلَهم أُمّةً؛ ليكونَ العذابُ واقعًا موقعه

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 155/9.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 155/9.

[الأعراف: 188] – ولم يكن العذابُ والهلاكُ، ولم يجد موقعًا يقع عليه، فصار من عادة الله أن يردَّ لهم الكَرَّةَ ويجعلَهم أمة حتى يكونوا أمة فيُسلِّطُ عليهم مَن يُعذِّبهم؛ ليكونَ العذابُ واقعًا مَوقِعَه، والله ﷻ أصدقُ من يقول"[1].

معنى ﴿مَن﴾ في ﴿مَن يَسُومُهُمْ﴾:

﴿مَن﴾ اسمٌ موصولٌ بمعنى (الذي)، وهو مفعول ﴿لَيَبْعَثَنَّ﴾، وجملة ﴿يَسُومُهُمْ﴾ صِلةُ الموصولِ لا محلَّ لها من الإعراب[2].

بلاغة التّعبير بالسَّوْمِ مادَّة وصيغةً:

تقدَّم أنّ المعنى المحوريَّ للسَّوْم هو امتدادُ بقاءٍ، أو مرورٌ وذَهابٌ في حيِّزٍ بلا حدّ[3]، يُقال سامَهُ الأمرَ، أي: كلَّفه إيّاه، وأولاه إيّاه، أو حمَّله إيّاه. والسَّوْمُ يأتي بمعنى أن تُجشِّمَ إنسانًا مَشقَّةً، أو سوءًا، أو ظُلمًا، أي: تُحمِّلَه ذلك وهو عاجزٌ عن المخالفة. وحقيقةُ السَّوْمِ أنَّه تقديرُ العِوَضِ الَّذي يُستبدَلُ به الشَّيءُ[4]، ويدلُّ السَّوْمُ على طلب الشيء، ومنه السَّوْمُ في الشراء والبيع[5].

التعبير بالسَّوْمِ يُنبِئُ عن تطلُّبٍ لهؤلاء القوم وترصُّدِهم، والمضارعُ فيه استحضارُ الصورة أمام القارئ

فالتَّعبيرُ بالسَّوْمِ يُنبِئُ عن تطلُّبٍ لهؤلاء القوم وترصُّدِهم، وعدمِ خلوِّهم عمَّن يتابع تقلُّبَهم في البلدان، كما هو الحال في الأسواق المفتوحة من سَوْمِ السِّلع، وهو حالة من الإذلالِ والخضوعِ والانكسارِ تحت سَطْوةِ العذاب، لا يستطيع المجرمُ التحرُّرَ منها أبدًا. وأفاد التّعبيرُ بالمضارعيّة استحضارَ الصورة أمام القارئ.

بلاغة الاستعارة في التّعبير عن معاملتهم بالسَّوْم:

تشبيهُ حالهم بمن يَسومُهُم بضاعتَهم من المكرِ والخديعةِ ونقضِ العهود ليُعاوِضَهم الخِزْيَ والهوانَ

استُعملَ السَّوْمُ مجازًا في المعاملة اللّازمة بتشبيهها بالسَّوْمِ

(1) الشَّنقيطيّ، العذب النّمير: 292/4.
(2) الدّرويش، إعراب القرآن الكريم وبيانه: 69/3.
(3) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (سوم).
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 156/9.
(5) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (سوم).

المقدَّر للشَّيء[1]، حيث شبّه القرآنُ الكريم إصابةَ العذابِ لهم وتَذوُّقَهم له بحالِ من يَسومُهُم بِضاعَتَهم ليستبدِلَها منهم بجامِع المراوحةِ والمناورةِ، على سبيل الاستعارة التَّصريحيّة التَّبعيّة.

نُكْتَةُ إضافةِ السُّوءِ إلى العذابِ:

المبالغةُ في وصفِ شدّة العذابِ الواقعِ عليهم

أضافَ السوءَ إلى العذابِ في قوله: ﴿سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِۖ﴾؛ لأنَّ العذابَ كلَّه سوءٌ، فَسُوؤُهُ الأشدُّ فيه[2]، وأصلُها العذابُ السُّوءُ، فتقدَّمَتْ فيه الصِّفةُ على موصوفِها وأُضِيفَتْ إليه مبالغةً في وصفِ شدّة العذاب؛ فَسوؤُهُ ثابتٌ مقرَّرٌ حتّى بات مضافًا إليه.

معنى اللّام في ﴿ٱلۡعَذَابِۖ﴾:

(أل) هنا جِنسيَّةٌ استغراقيّةٌ؛ لتشملَ كلَّ أنواع العذاب المادّيّ والمعنويّ الذي يوقِع النِّكايةَ في اليهود.

الموقع البيانيّ لعبارة التذييل:

الجملة التَّعليليّة وقعت جوابًا عن سؤالٍ مقدَّرٍ

فُصِلَ قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلۡعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ عمّا سبقه ولم يُعطَفْ عليه؛ إمّا لكمالِ اتّصاله؛ لأنّه مؤكِّد لمضمون ما سبقه مِن بعثِ مَن يتسلَّطُ عليهم بسوءِ العذابِ، وإمّا أن يكون استئنافًا بيانيًّا عن سؤالٍ مقدَّرٍ، وكأنَّ سائلًا قال: (لمَ يُفعل هذا بهم؟)، فجاءت الجملةُ تعليليّةً جوابًا عن سؤالٍ تقدَّمَها - ولو تقديرًا - وهو الأقرب.

غرضُ تتابُعِ المؤكِّداتِ في فاصلةِ الآية:

تتابعت المؤكِّداتُ في الفاصلة الكريمة لتُقرِّرَ مضامينَ الوعد والوعيد، فأمّا مجيءُ هذه المؤكِّدات من: إنّ، والجمل الاسميّة، واللّام المزحْلَقة، مع المعتدين العصاة - فظاهرٌ بيِّنٌ؛ لأنّ المؤكِّداتِ تتبايَنُ كثرةً وقِلَّةً بحسب أحوالٍ تقتضيها. وهؤلاء المعتدون

تتابعتِ المؤكّداتُ في بابَيِ الوعْدِ والوعيدِ لِتَطْمينِهم ودعوتِهم لإعلانِ التوبةِ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 155/9 - 156.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 156/9.

يحتاجون لهذه المؤكِّداتِ لإزالةِ شكوكِهم وطُعونِهم، وظَنِّهم بأنّ عذابَ الله لن يُصيبَهم.

أمّا توالي هذه المؤكِّدات في صِفَتَي المغفرة والرّحمة؛ فإنّما جاءت تطميعًا لهم، وتأليفًا لقلوبهم، ودفعًا لهم لإعلان التّوبة من معاصيهم، والالتحاقِ بصفوف المؤمنين.

سِرُّ دخول لفظ الرَّبّ وإضافته:

في لفظ الرّبّ تسريةٌ وتسليةٌ لقلبِ الحبيب عليه الصّلاة والسّلام، وفي إضافتِها لضميرِه عليه أزكى السلام؛ تشريفٌ ما بعده تشريف.

معنى أل في ﴿ٱلۡعِقَابِ﴾:

المناسبُ أن تكون (أل) هنا جِنسيّةً استغراقيّةً، تشملُ ألوانَ العقابِ جميعَها، عاجلَها وآجلَها، صغيرَها وكبيرَها، المادّيَّ منها والمعنويَّ.

نُكتةُ وصفِ العقاب بالسُّرعة:

شَبَّهتِ الآيةُ القدرةَ على عقابهم والتمكُّنَ منهم بالأمر السريع

الأصلُ أنَّ أمر الله نافذٌ سريعٌ لا يحتاج إلى تأويل، ورأى بعضُهم أنّ السُّرعة استُعيرت لعدم التَّردد ولتمام المقدرة على العِقاب، بجامعِ عدمِ التأخُّرِ، وقوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلۡعِقَابِ﴾ أي لهم، والسرعة تقتضي التحقّق، أي إنَّ عقابَه واقعٌ وغيرُ متأخِّرٍ؛ لأنَّ التأخُّرَ تقليلٌ في التحقّق، إذ التأخُّرُ استمرارُ العدم مدّة ما[1].

غرضُ تقديمِ الوعيد على الوعد:

اقتضى السّياقُ العامُّ والخاصُّ تقديمَ الوعيد على الوعد

تقدَّم في الآية قوله: ﴿لَيَبۡعَثَنَّ عَلَيۡهِمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَن يَسُومُهُمۡ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِۗ﴾ فاقتضى هذا أن يتقدَّم الوعيد على الوعد في فاصلة الآية؛ ليحصل التَّطابق والموافقة في الجنس الواحد، ولإشعار اليهود بأنَّهم مقصودون بالتَّهديد والوعيد على تَكَرُّرِ شَناعةِ ما صنعوه،

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 156/9.

وعلى سوء فِعالهم السابقةِ، فضلًا عن أنَّ الآيات سِيقتْ في بيان حالِ الفئةِ التي اعْتَدتْ من بني إسرائيل، وتجاوزتْ حُرْمةَ الصّيد في يوم السّبت.

نكتة الإضمار بعد الإظهار في ﴿وَإِنَّهُۥ﴾:

الإضمارُ للفظ الربوبيّة هنا من باب الإيجاز لتقدُّم ذِكْرِها في الوعيد، والتّقدير: (وإنّ ربّك لغفورٌ رحيمٌ). ومن العادات المعروفة في القرآن أنّه حيث أمكن الإيجازُ دون إخلالٍ بالمعنى عُمِدَ إليه، فيختار القرآنُ أسلوب الإضمارِ بعد الإظهارِ لِتَقدُّمِ العلم به، إلّا إذا دَعَتْ حاجةٌ للإظهار في موضع الإضمار.

الإيجازُ من العادات المعروفة في القرآن، والإضمار هنا بعد الإظهار لتقدُّم العلم به

غرضُ تتابُعِ وصفَيْن في سياق الوعد إزاءَ وصفٍ واحدٍ في سياق الوعيد:

من لطائفِ النَّظمِ العزيزِ الاقتصارُ في سياق الوعيد ﴿لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِ﴾ على صفة واحدة هي سرعةُ العقاب، بينما في سياق الوعد ذَكَر صفتين اثنتيْن هما المغفرةُ والرحمةُ في: ﴿لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾؛ لترغيبِ العصاة من اليهود وغيرِهم في التَّوبة، وحَثِّهم عليها لِيُبادِروا إليها حتّى لو عَظُمتْ ذنوبُهم، ثمّ حتّى تحصل الطمأنينة في النّفوس بعد تقديم ذِكْر سرعةِ العقاب على المغفرة والرّحمة.

أكَّدَتِ الآيةُ الكريمةُ سَعةَ رحمةِ الله تعالى التي سَبقت عذابَهُ بذِكْرِ صفتَيْن عظيمتَيْن دالَّتَيْن عليها

دلالةُ المبالغة في ذِكْرِ صفاتِ الله سبحانه:

اقتَضَى مقامُ الوعد والوعيد في هذه الآية الكريمة ذِكْرَ هذه الصفاتِ الواردةِ فيها (سريع، غفور، رحيم)، بصيغِ المبالغة على وَزْنَي (فَعِيلٍ) و(فَعُولٍ)؛ لتستقرَّ معاني هذه الصفات في النّفوس ويتحقّق أثرُها فيها.

ترسُّخُ الآثارِ الجليلة لأسماء الله الحسنى في النّفوس

بلاغةُ الإيجازِ بالحذفِ:

أفاد الإيجازُ في قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ إلى انقسامَ أحوال النّاس إلى فِرقٍ مختلفةٍ: فريق العصاة، وهؤلاء استحقّوا سرعة العقاب، وتعجيلَ جزائهم لهوانهم على الله.

وفريق المؤمنين الذين امتثلوا لأوامر الله، ولكنّ قد تَزِلُّ أقدامهم. وفريق العصاة التائبين من عصيانهم، فهذان الفريقان الأخيران استحقّا صفتَي المغفرة والرَّحمة؛ لكرم الله وجميل سَتْره وتجاوزه، فكلُّ هذه التّفصيلات قد طُوِيَتْ في الآية الكريمة لوجود ما يدلّ عليها.

أشارت الألفاظُ المذكورة في الآية إلى تفصيلاتٍ استُغني عن ذِكْرِها بوجود ما يدلّ عليها

بلاغة المحسّنات البَديعيَّة في الآية:

في فاصلة الآية طِباقُ إيجابٍ من خلال ذكر أسماء الله الحسنى في الوعد والوعيد، وهناك مقابلات بين أساليب التّوكيد بينها، وكذلك في تنكيرها.

❁ الفُروقُ المُعْجَمِيَّةُ:

الإرسال والبعث:

ذكر د.محمد الهلال في تفسيره بعضَ الفروق بين هاتَيْن اللّفظتَيْن فقال: الإرسال؛ **أولًا**: يكون بإرسال شيء جديد؛ أي: برسالة جديدة، أو منهج جديد، أو تغيير، أو تعديل في المنهج السابق، حسب الزمان والمكان. **ثانيًا**: الإرسال: لا يصاحبه إثارةٌ ولا تهييجٌ، ولا حثٌّ كما في البعث. ثالثًا: الإرسال: من مكان إلى مكان، أو إلى مكان جديد. رابعًا: الإرسال: هو أقل شدةً، وقوةً، ومَشقَّةً مقارنة بالبعث.

البعثُ فيه إثارة وجَلَبةٌ، وتَخالَطَتْه الشدَّةُ والقوّةُ بخلاف الإرسال

أمّا البعث؛ أولًا: البعثُ: هو إحياءُ منهجٍ كان موجوداً سابقاً، وغفَل عنه النّاس، فإذا أراد الله ﷻ إحياء المنهج نفسه، الذي غَفَل عنه النّاس، بعث الله رسولاً، أو نبيًّا، لإحياء معالم ذلك المنهج السابق، الذي اندثر؛ أي باختصار: بعثُ شيءٍ قديم، وليس هناك من جديد. ثانيًا: البعث: يصاحبه إثارةٌ، وحَضٌّ، وتهييجٌ على القيام بالعمل وحَثٌّ عليه. ثالثًا: البعث: يكون إلى المكان نفسه، أو القرية، أو المدينة. رابعًا: البعث: إرسال، وفيه شدة، ومشقة، وقوة، وعمل؛ أشد من الإرسال[1].

(1) محمد الهلال، تفسير القرآن النّري الجامع: 126/1.

من هنا يتبيّن أنّ مجيء كلمة ﴿لَيَبْعَثَنَّ﴾ هي الأليق في المقام الذي جاءت فيه؛ لما يُصاحِبُ البعثَ من إثارةٍ وجَلَبةٍ، ولمخالطَتِه الشدّة والقوّة، ولأنّه سيكون لنفس المُرسَل إليهم، وفي ذات أماكنهم.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الخامس عشر، سورة الأعراف من الآية 164 إلى سورة الأنفال الآية 26
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1445هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الخامس عشر، سورة الأعراف من الآية 164 إلى سورة الأنفال الآية 26
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 15 ، 812 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-11-1
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 15 : المجلد الخامس عشر، سورة الأعراف من الآية 164 إلى سورة الأنفال الآية 26.
-1القرآن - تفاسير نحوية -2 القرآن، بديع -3 القرآن، بلاغة -4 القرآن - سور وآيات -5 القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

الترقيم الدولي : 978-9948-768-11-1
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-7668393 بتاريخ 2024/01/16م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»